الكتب

رسائل الأهالي

على طريق الهند

للأستاذ عبد الفتاح السرنجاوي

رسالة قيمة أخرجتها إلى شباب الشرق جريدة الأهالي التي كانت تصدر في بغداد وعُطلت وا أسفاه منذ طويل ، وهي بحث علمي قوي رجع كاتبه الفاضل فيه إلى أكثر من تسعين مرجعاً من السجلات والمحفوظات الرسمية والأوراق البرلمانية وتقارير الخبراء العسكريين والدبلوماسيين ونصوص المعاهدات ، وكتب المؤلفين المهتمين بدراسة شؤون الشرق أمثال أندريو وبوشام وتشرشل وكرزون وفوكس ومون وإسكويث والسير وليم ولكوكس والسير ارنولد ولسون وغيرهم

وقد تبد أهذه الرسالة بمقدمة جغرافية عن أهمية الخليج الفارسي وسواحله العربية والفارسية والشمالية ، ثم يجاوز الكاتب هذا إلى كلام في تاريخ الخليج ، ثم يثبت أن المصالح المادية وتجارة أوروبا مع الشرق كانت سابقة للأطماع السياسية ، وينتهي إلى أن الانجليز إنما سيطروا على الخليج الفارسي في سبيل الهند موضحاً أهمية الهند للرأسمالية الانجليزية وكاشفاً في قوة وجرءة عن سياسة هذه الرأسمالية واستخدامها الهنود لمصلحة الاستعمار وارتكابها الأخطاء الوحشية في سبيل تحقيق ذلك كله . ويرى الكاتب الفاضل أن وادي الفرات أقرب الطرق إلى الهند ؛ ويشرح موقف انجلترا إزاء المسألة الشرقية ، واهتمامها بطريق السويس والفرات ؛ ويبين ما نشأ من نزاع بين الرأسمالية الدولية من أجل سكة حديد بغداد حتى قيام الحرب العالمية

ويرى كاتب الرسالة فوق ما تقدم أن الثورة الصناعية جعلت الانجليز في حاجة إلى كثير من المواد الغفل ، وقد يكون اهتمامهم بالعراق لأنها طريق الهند أولاً ولأنها أيضاً حقل يستطيعون أن يحصلوا منه على القطن والحبوب ، وتفسير ذلك اهتمام الانجليز بمشروعات الري العراقية التي أسفرت عن فشل مروّع . ثم يشير إلى مرحلة أخرى كشف فيها النفط ودعى الجنرال فيشر إلى الاستعاضة به عن الفحم وما بذلته انجلترا في سبيل تأسيس الشركات وعقد الصفقات والمقاولات حتى سنة ١٩٣١

وينتقل إلى أن الحالة السياسية كان لها أثرها في علاقات الانجليز بالشرق ، فقد قامت النهضة التركية وسيقت تركيا لاعلان الحرب وتقاسم الاستعماريون أملاكها ، ثم كان أخيراً انتصار مصطفى كمال والقضاء على الأطماع البريطانية في تركيا ذاتها

كذلك ظهر السيد جمال الدين الأفغاني ونشر آراءه الحرة في إيران فقامت حركات دستورية واضطرابات عنيفة سنة ١٩٠٥ و ١٩٠٨ . ثم قامت الحركة الوطنية بعد ١٩١٧ فخذلت الاستعمار البريطاني ونصّبت رضا شاه بهلوي ملكاً على إيران الجديدة

كذلك قاتل الأفغان ضد الاستعمار تحت راية أمان الله حتى الحرب العامة التي أعلن أمان الله بعدها الاستقلال وأسس العلاقات السياسية مع روسيا . ثم جاوز هذا إلى حرب الانجليز وعقد معهم صلح (راوال بندي) ، وسار في سبيل الاصلاح الداخلي والنهوض بالأفغان حتى قامت عليه الثورة المدبرة التي أنزلته عن عرشه وأجلست مكانه نادر شاه

وتشير الرسالة إلى بوادر اليقظة في الهند بعد فظائع الاستعمار البريطاني مما أدّى الى عقد المؤتمر الوطني الهندي ونجاحه في الدعوة إلى الثورة في وجه الانجليز حتى سنة ١٩١٢ ، ثم اقتربت الحرب العظمى فاستمالت انجلترا الهنود لتضمهم إلى صفوفها . وبعد انتهاء الحرب عمد الانجليز إلى إصلاحات سنة ١٩١٩ ثم قامت الحركة الوطنية بزعامة غاندي فحكم عليه وانقسمت الجبهة الوطنية ودارت مفاوضات مؤتمر الطاولة المستديرة وانتهى الأمر بتخاذل غاندي وانصرافه عن قضية الوطن الهندي إلى قضية النبوذين

كذلك مصر قامت فيها حركة وطنية بدأها محمد علي الكبير ورعاها اسماعيل والطبقة الارستقراطية ؛ وهنا يناقش الكاتب

الوضع الاقتصادى للبلاد ، ويتتبع أدوار الوطنية التقليدية على يد عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول ، ويبين كيف أن اتحاد الجبهات العليا مع الانجليز وتآمر الأرستقراطيين مع السياسة الاستعمارية جعل الوطنية التقليدية على وشك الزوال . ذلك ختام الفصل الذى تعرضت فيه الرسالة لمصر . على أن ما شهده العالم من تضحيات الشباب المصرى ، وتكوين الجبهة الوطنية ممثلة جميع الأحزاب ، وعقد معاهدة ١٩٣٦ ، لا شك يجعل الوطنية التقليدية التى أشار اليها الكاتب الفاضل تدخل فى دور جديد يُقضى فيه على مساومة المستعمرين وخذلان قضية الوطن برعاية مصالح الطبقة الخاصة

ثم يناقش الكاتب الفاضل بعد هذا تعاون روسيا السوفيتية مع الشرقين الأوسط والأدنى ، وإلغاء الامتيازات ، وعقد المعاهدات مع تركيا وإيران وأفغانستان ، وتكوين الجبهة الشرقية ضد الاستعمار ، وما كان فوق ذلك من أثر النظام السوفيتى فى حكومة تركيا الجمهورية مستدلاً بمشروع السنوات الخمس التركى

ويبحث الفصل الأخير من فصول هذه الرسالة القيمة فى النزاع الاستعمارى فى الشرق الأدنى وكيف أن الانجليز يستعينون بأمراء العرب ضد الوحدة الاسلامية ، وكيف أن سياستهم قد انخذلت فى الشرق بعد الانقلاب الروسى ، فعمدت انجلترا إلى سياسة جديدة هى مفاوضة فرنسا وعقد المؤتمرات لتوزيع العروش والتيجان ، وبذلك حكمت جبهة الدفاع فى البلاد العربية واتخذت العراق مقراً لها . وأخيراً يشير إلى المعاهدة العراقية الانجليزية ويرى أن الخلاص لا يكون إلا بالانتباه إلى مكائد الاستعمار للعراقيين ولشعوب الشرق على حد سواء ، وبالاستفادة من موقع العراق الخطير على إنقاذ أنفسهم من ويلات المستعمرين ، وأن يتذكروا دائماً أن خلاصهم من الاستعمار منوط بتعاون شعوب الشرق كافة وبزوال الاستعمار من جميع البلاد الشرقية

* * *

ذلك نموذج سام للكتابة القومية الشرقية التى لا يختص بها قطر دون آخر من بلاد الشرق ، والتى تريد أن تجعل من الشرق بأسره جبهة قوية فى وجه الاستعمار . والواقع أن الشعوب المغلوبة على أمرها فى أشد الحاجة إلى مثل هذه الكتابة الشعبية التى تنير لها سبل الحياة الحرة وتشعرها بما ينصب فوق رأسها من إرهاق وعسف ؛ ذلك هو الأدب الحى الذى يقلب أوضاع الجماعات ويهدم الفاسد من أنظمة الحكم ليقيم محلها أنظمة صالحة تنفذها حكومات صالحة تعمل لصالح المحكومين وتستمد منهم وجودها وقوتها ، والشرق العربى والطورانى ظلاً طويلاً مسخرين لصالح الحاكمين والمستعمرين الذين أذلوا الجماعات ، ووقفوا فى سبيل إظهار مواهب الفرد وقوته ، وحالوا دون أن يعمل لصالح الجماعة التى يعيش فيها . ورسائل الأهالى التى نحن بصددها كتابة شعبية صريحة كتبتها أقلام جريئة قوية لا تخشى فى الحق لومة لائم ووجهتها إلى شباب الشرق تثير فيه الحماسة وتذكى جذوة القومية الشرقية العزيزة وتجلى عن ويلات الاستعمار ومساوئه وتفتح عين الشرق على خير وسائل الخلاص ، وهذه الأقلام المخلصة لا ريب حقيقة بالتعظيم والتقدير ؟

عبد الفتاح السنجاوى
مدرس التاريخ بمعهد القاهرة

لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب السلوك للمقريزى

القسم الثانى من الجزء الأول

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر القسم الثانى من هذا المؤلف الكبير وهو يشمل بقية ما كتب المقريزى فى الدولة الأيوبية بمصر وشطراً كبيراً من تاريخ دولة المماليك الأولى المعروفة بدولة المماليك البحرية

وقد قام بنشره الدكتور محمد مصطفى زيادة مدرس تاريخ القرون الوسطى بكلية الآداب بالجامعة المصرية . واعتمد فى إخراجه على نسخة خطية كتبها المقريزى بيده ، وقد عنى باضافة حواش تاريخية « وجغرافية » ولغوية جمة . ويقع هذا القسم فى أربعمائة صفحة من القطع الكبير وطبع بمطبعة دار الكتب وثمنه عشرون قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الكرداسى نمرة ٩ بعابدين ومن المكاتب الشهيرة ؟